

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[160] تعلّقهم الشديد بالدنيا وعاشوا طول الأمل فيها ممّا أورثهم ذلك الغرور والكبر والفخر إلى درجة أنّهم ليس فقط لم يهتمّوا لدعوة أنبيائهم هود وصالح، بل إنّهم تصدّوا لهم بالمخالفة والعدوان. القرآن الكريم يذكر في الآيات الأولى على لسان النبي صالح (عليه السلام) مخاطباً لقومه (وَإِذْ كُورُواْ ۚ إِذْ جَعَلْنَاكُم مِّنْ خُلَافَاءَ ۚ مِّن بَعْدِ عَادَ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْآرْضِ تَتَذَكَّرُونَ ۚ مِّن سُهُولِهَا قُصُورًا ۚ وَتَتَذَكَّرُونَ الْجِبَالِ ۚ يُذُوتَهَا فَذُكُورُواْ ۚ إِلَّا ۚ الْعَالَمِ ۚ وَلَا تَعْبَثُواْ ۚ فِي الْآرْضِ مُمْسِكِينَ) (1). -- وفي "الآية الثانية" يستعرض القرآن حالة قوم (عاد) والذي سبقت الإشارة إليها في الآية السابقة في الحديث عن قوم ثمود. وتحدث الآية الكريمة على لسان النبي هود (عليه السلام) مخاطباً قومه (أَتَذَكَّرُونَ ۚ بِكُلِّ رَّيْعٍ آيَةٍ ۚ تَعْبَثُونَ * وَتَتَذَكَّرُونَ ۚ مَصَانِعَ لَّعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) (2). وهنا أراد هو بهذا الكلام أن يُفهم قومه أنّ أحد العلل المهمّة لإنحرافهم عن جادة الصواب وسلوكهم في خطّ الباطل هو اتباعهم للأهواء واعتمادهم على الآمال العريضة والطويلة والتي أدّت بهم إلى الغفلة عن الله تعالى والفرق في زخارف الدنيا والإبتلاء بزيارجهما. (مصانع) جمع مصنع، بمعنى البناء العظيم والقصر الشامخ والمستحکم، والأصل لهذه المفردة هي مادّة (صَنَعَ) والتي تأتي بمعنى أداء العمل الحسن، وعليه فإنّ (صنع) لا يقال لكلّ عمل، بل يُطلق على الأعمال التي لها امتياز خاص. إنّ قوم عاد وثمرود تصوّروا بأنّهم وبسبب هذه الأبنية القوية والمجلّلة والقصور الفخمة التي أوجدوها في قلب الجبال أنّهم بإمكانهم أن يصنّوا أنفسهم من الآفات والحوادث الطبيعية ويخلدوا فيها لسنوات متمادية بعيداً عن كلّ أشكال الشقاء والبؤس. 1. سورة الأعراف، الآية 74. 2. سورة الشعراء، الآية 128 و 129.